كيف يكتسب المرء الخلق الحميد ويتخلى عن الذميم

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [المائدة: ٤٢]، ويقول رسول الله ﷺ: «**أحبّ عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً**»[١]، وقال رسول الله ﷺ: «**إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون**»[٢].

أيها الإخوة: بطرق أربعة يَستطيع المرء اكتساب الخُلق الحميد والتَّخلي عن الذميم، هذه الأربعة هي مادة الخطبة.

١- **المعلم:** قال سيدنا لقمان لابنه: (يا بني، جالِس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله تعالى يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما تَحيا الأرض بالمطر. يا بني، نافس في طلب الأدب، فإنه ميراث غير مسلوب، وقرين غير مَغلوب، ونفيس حَظٍّ في الناس مطلوب). ولما قَدِم العز بن عبد السلام مِصر بالَغ الشيخ المنذري في الأدب معه، وامتنع من الإفتاء لأجله، وقال: (كُنَّا نُفتي قبل حضوره، وأما بعد حضوره فمنصب الفتوى مُتعين فيه). وقال الشافعي رضي الله عنه: (الناس في الفقه عِيال على أبي حنيفة).

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل رضي الله عنه: (قلت لأبي: أي رجل كان الشافعي، فإني سمعتك كثيراً تكثر من الدعاء له؟ فقال: يا بني، كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للبدن، هل لهذين من خلف أو عوض؟!).

وسُئل الحسن البصري عن أحد معلميه، فقال للسائل: (لقد سألت عن رجل كأنَّ الملائكة أدَّبته، وكأن الأنبياء ربّته).

---

[١] – أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال.

[٢] – أخرجه الترمذي في سننه.

فأول طريق لكسب الأخلاق الحميدة: المعلم، ومن تتلمذ على معلم أديب خلوق اكتسب من خلقه ونهل من أدبه.

٢- **الصاحب**: لأن الطبع يسرق من الطبع، والأفعال الحميدة تُكتَسب بمشاهدة أرباب الفعال الجميلة ومصاحبتهم، وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح.

قال سيدنا لقمان لابنه: (يا بني، إياك وصاحب السوء، فإنه كالسيف يَحسُن مظهره ويقبح أثره).

وذُكر عن الإمام أحمد ﷺ: (أنه رحل إلى ما وراء النهر ليروي أحاديث ثُلاثية، قيل له: إن هناك من يَرويها ويحفظها، فوجد شيخاً يُطعمُ كلباً، فسلَّم على الشيخ فردَّ عليه السلام، ثم اشتغل الشيخ بإطعام الكلب، فوجد الإمام أحمد في نفسه حيثُ أقبل الشيخُ على الكلب ولم يُقبِل عليه، فلما فرغ الشيخُ من إطعام الكلب التفت إلى الإمام أحمد، وقال له: كأنك وجدتَ في نفسك حيث أقبلتُ على الكلب ولم أُقبل عليك، قال: نعم، قال: حدثني أبو الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «**من قَطَعَ رَجَاءَ مَن ارْتجاهُ قَطَعَ اللهُ رَجَاءَهُ منه يوم القيامة فلم يَلج الجنة**»، وأرْضُنا هذه ليست بأرض كلاب، وقد قصدني هذا الكلب، فخفتُ أن أقطع رجاءهُ، فقال الإمام أحمد: هذا الحديث يَكْفِيْني ثم رجع)[٣].

٣- **المجاهدة**: وفي جهاد النفس وحملها على التخلق بمحمود الصفات ومشكور الفعال،

وخالف النفس والشيطان وإن هما محضاك النصح فاتهم

واعصهما

---

[٣] - من كتاب "إيقاظ أولي الهمم العالية".

٤- **الدعاء**: كان رسول الله ﷺ يدعو فيقول: «**اللهم أنت الملك لا إله الا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعاً، لا يغفر الذنوب إلا أنت، اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت، اصرف عني سيئها لا يَصرف عني سيئها إلا أنت**»[٤]، وعن أم الدرداء رضي الله عنها قالت: (قام أبو الدرداء ليلة يصلي، فجعل يبكي ويقول: اللهم أحسنتَ خَلقي فَحَسِّن خُلقي، حتى أصبح، فقلت: يا أبا الدرداء، ما كان دُعاؤك منذ الليلة إلا في حسن الخلق؟! فقال: يا أم الدرداء، إن العبد المسلم يَحسُن خُلقه حتى يُدخله حُسن خُلقه الجنة، ويَسيء خلقُه حتى يُدخِله سُوءُ خُلقه النار)[٥].

هذه طرق أربعة تُعين على كسب الأخلاق الحميدة: المعلم، الصاحب، المجاهدة، الدعاء.

والحمد لله رب العالمين

---

[٤] - أخرجه أحمد في مسنده.

[٥] - البخاري في الأدب المفرد، والبيهقي في الشعب.